

فَكَاهَاتٌ

رَقَائِصٌ

العدل (١)

روي انه كان في بلاد الانكليز في اواخر القرن الماضي رجل من النبلاء يقال له السير يوسف براندون وكان واسع الثروة كثير العقار معروفًا بالنبل والفضل والاحسان فمات عمرًا طويلاً انفق جلته في اعمال الخير وتوفي عن ولدين يقال لهما يوسف ووليم فاوصى للاول بكل ماله وترك للثاني مبلغاً لا يزيد عن خمسة آلاف ليرة فان الشريعة الانكليزية كانت تقضي بانتقال معظم الارث من الاب الى اكبر اولاده الذي يعتبر عندهم ممثل كرامة الاسرة وحافظ شهرتها ومجدها وكانوا يوصون لبقية الاولاد بمبالغ طفيفه تساعدهم مع ما احرزوه من العلم على نيل اسباب المعيشة المعتدلة وبعد ان توفي الوالد لبث يوسف اكبر الولدين مقيماً في بلده واتخذ على نفسه تدير العقارات والمقتنيات الكثيرة التي خلفها له والده وكان قد تزوج في صباه بفتاة كريمة الاصل بديعة الجمال بالغة حد التهذيب واللطف والرقه فرزق منها ابنة ثم توفيت على اثر النفاس خلفت له حزناً عظيماً فلبث بعدها منقطعاً بنفسه معتزلاً معاشره الناس الا في وقت الضرورة

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب اندي المشلاي

وصرف همه إلى العناية بآبنته وسماها لوسيا باسم امها فكانت سلوته الوحيدة
 اما وليم فأخذ ما اصابه من ثروة والده وسافر إلى قرية بعيدة وكان
 قد درس علم الحقوق حتى برع فيه فشرع يتعاطى صناعة الحمامة وقد صمم
 ان لا يفتر عن السعي والاقدام حتى يفوز بمقام عالٍ لانه كان مولعاً
 بالعظمة والسؤدد فمرت به بضع سنين وهو يكد ويقتارع الايام وينازل
 الحوادث فلم يرفعه اجتهاده في سلم الارتقاء الا درجات قليلة

وفي ذات يوم دُعي وليم إلى مأدبة في منزل احد وجهاء البلدة التي
 اتخذها مقاماً فابصر هناك ابنة لرب البيت اسمها جوليا وكانت على جانب
 عظيم من الجمال واللطف والرفقة فقال قلبه اليها ولم يكن يعرف الحب قبلاً
 فما عتم ان صار ذلك الميل شغلاً شاغلاً واشتد الوجد في فؤاده حتى أنساه
 الغاية التي كان يسعى وراءها واخيراً عزم ان يقترن بالفتاة ويذهب بها إلى
 قرية معتزلة فيسكنان فيها منقطعين عن الناس واقفين حياتهما للحب الخالص
 ولما قرر وليم عزمه على الزواج طلب الفتاة من ايها فأجابته وكانت
 جوليا قد اصابها من حبه ما اصابه من حبه فافترن بها وفرغ فؤاده من
 كل عاطفة الا الحب فعاش مع عروسه سنة كانت اسعد من ايام حياته
 ورزق منها غلاماً

الآن عواطف حب الجاه والرفعة لم تخمد في صدر وليم بل كانت
 كامنة بازاء عاطفة الحب لغلبتها عليها فلم يمض عليه ثمانية عشر شهراً
 من زواجه حتى عادت إليه آماله القديمة بقوة عظيمة ولا سيما لانه كان
 يود ان يترك لولده اسماً عظيماً وإرثاً كبيراً فعاد إلى حالته الاولى من

السعي والدأب واعدأ نفسه بالفوز ونيل الاماني
 واتفق ذات يوم ان وليم كان جالساً امام نافذة غرفته فرأى كوكبة من
 النيران مارة على الطريق امام منزله وهم يتحادثون ويضحكون وفيما هم
 كذلك اذا بجواد احدهم قد كبا فسقط براكبه على الارض وللحال ترجل
 الباقون عن جيادهم واسرعوا الى الساقط لينهضوه وكانوا ينادونه « يا سيدي
 اللرد » فوجدوا ان عظم ركبته قد انكسر فلم يستطع ان يتحرك لشدة آلامه .
 فلما سمع وليم لفقلة لرد اسرع فنزل الى الطريق ولما رأى اللرد على تلك الحال
 عرض عليه ان يحملة الى منزله واذا لم يكن في تلك القرية الصغيرة ماوى يليق
 برجل نبيل كاللرد لم يسمه الا الاجابة فنقله وليم الى غرفته والقاه على سرير
 واستدعى في الحال احد مشاهير الجراحين من بلدة مجاورة فجاء وفحص
 الكسر فظهر له ان الامر خطير وشرع للحال في معالجة اللرد وقضى عليه
 بالبقاء في المنزل ثلاثة اشهر ومنعه من الحركة وأكد له ان الانتقال من

هناك يزيد الحال خطراً وربما يفضي الى قطع الساق

وكان هذا اللرد من اعظم نبلاء الانكيز المقيمين من ملكهم وكان
 اسمه اللرد فرغراف ولم تكن سنه في وقت الحادثة تزيد على الثلاثين فلبث
 في بيت وليم وسرّ مما لقي من الحفاوة والاکرام . وكانت زوجة وليم تدخل
 اليه حين يذهب رجلها لقضاء اشغاله فتسليه باحاديثها وتقرأ له بعض الاخبار
 المضحكة لكي تهون عليه صعوبة الأسر في فراشه .

اما اللرد فأنس في تلك السيدة رقة ولطفاً وادباً وجمالاً فال قلبه اليها
 واحبها كثيراً ولما اوشكت الثلاثة الاشهر ان تنقضي اغتم جداً وودّ لو يبق

زمنًا أطول في منزل وليم لكي يتمتع بمغازلة جوليا وحدثه نفسه ان يستميلها اليه لكنه وجد من عفائها وطهاره نفسها ما حال دون مرامه وان كانت المرأة لم تنج من وهدة الغرام التي التي فيها

وفي اثناء هذه المدة كاشف وليم اللرد بما في نفسه من حب الشهرة والابهة وسأله المساعدة في ادخاله في سلك القضاة فوعده اللرد بالاجابة وشرع وليم يبني قصورا شاهقة من الآمال المقلبة

ولما تم شفاء اللرد أراد الخروج من منزل مضيفه وكانت ظواهره تدل على حبه الشديد لربة المنزل ولم يخف ذلك عن عين وليم النقادة فاغتاظ جدا وأحرقته نار الغيرة ولكنه كظم الغيظ وشيخ اللرد الى العربية متلطفًا معه في الكلام ومذكرًا آياه بوعدده

وبعد ذهاب اللرد بأيام كان وليم نائمًا في فراشه بجانب زوجته وبينهما ولدهما ادورد فسمع زوجته تتم فانتبه وأصغى الى ما كانت تقول في نومها فسمعها تذكر اسم اللرد فرغراف وللحال ثار غيظه حتى أصابه نوع من الجنون وظن انها قد خانتة فلم يستطع صبرًا وخطر له ان يقتلها على فراشها ولكنه عدل عن ذلك ونهض لساعته فلبس ثيابه وأخذ كتبه وأوراقه ونقوده وحمل طفله وخرج من البيت فاكثرى عربة وسافر الى بلدة اخرى

وفي الصباح نهضت جوليا من نومها مرعوبة لانها لم تجد زوجها ولا ولدها وانما وجدت رقعة على مخدمتها فقرأت فيها ما يأتي

« لقد اطلعت على خيانتك ونمت شفتك بسرّك الاثيم فساقتقم

منك بان آخذ ولدك وأخفيه عنك وسأجعل حياتك حملاً عليك لانك
 لن تري فلذة كبذك بعد الآن وياك ان تحاولي اتباعي فاني لن أقبلك في
 بيتي وكني ان أقول لك انك خائنة وهذا عقابي لك وليم »

ولا نستطيع وصف ما خامر فؤاد جوليا بعد قراءة هذه الرسالة فانها
 علمت انها ذهبت ضحية شكوك زوجها ولما وجدت نفسها وحيدة شعرت
 ان ناراً تمحرق احشائها وحنث ضلوعها الى طفلها فذهبت تبحث عنه فلم
 تقف له على أثر وبلغ منها الغيظ لاتهم زوجها لها بالحيانة فجات من
 مكان الى آخر ومن قرية الى اخرى حتى علمت اخيراً ان زوجها ساكن في
 بلدة قريبة وانه استقدم مربية للاعتناء بولده . واذ كانت موقنة ان زوجها
 لا يسمح لها بدخول بيته ولا يريها وجه طفلها عزمت على ان تسرقه
 فاستدعت اثنين من اللصوص ودفعت اليهما مبلغاً من المال فدخلا ليلاً
 بيت وليم وسرقا الطفل وسلماه الى والدته فهربت به الى بلاد بعيدة . واذ
 لم يكن معها من النقود الا مبلغ يسير اكرت غرفة في نزل حقير كان
 يأوي اليه جماعة من الكيرين واللصوص وعاشت هناك مع ولدها عيشة
 محفوفة بالمكاره والمخاطر

• • • • •

مرّت على هذه الحادثة عشرون سنة وأصبح وليم رئيس قضاة بلاده
 ولم يبق امامه الا درجة واحدة لبلوغ قمة المعالي فوعده الرد قرغراف ان
 يسعى له لدى الملك في ان يعينه مستشار الملكة القضائي . وراق الزمان
 لوليم وصار عشير الامراء والنبلاء ولم يكن يكدر عيشه الا فقد ابنه الذي

لم ينقطع في كل مدة هذه السنين عن التفتيش عنه في كل مكان وكانت رجال الشحنة تجوب البلاد وتسال عن الطفل وأمه فلم تهتدي اليها وحدث بعد ذلك الحين ان اللرد فرغراف أبصر لوسيا ابنة اخي وليم وكانت قد نشأت فتاة لم يكن لجمالها ثان في كل تلك البلاد فهام بها وجدًا ولما علم انها ابنة اخي وليم طلب منه ان يسعى في زفها اليه واشترط عليه انه لا يسلم اليه الامر الملكي بتعيينه مستشاراً قضائياً للملك الا بعد ان يصبح زوجاً للوسيا . فشرع وليم يسعى في اقناع أخيه بهذا الزواج حتى أجابه اليه لكن لوسيا أبت الازعان لان قلبها كان قد تعاق بحب شاب اسمه ادورد وكان مجهول النسب الا انه كان حسن الخلقة قوي البنية كريم النفس شجاعاً حاذقاً وكان ابو لوسيا قد رآه مرتين فسر منه ومال قلبه اليه فلم يلم ابنته على هيامها بذلك الفتى الغريب . اما وليم فأبغض الشاب وهو لم يره بعد بغضاً عظيماً لانه كان عقبه في سبيل أمانته فأخذ يهتم في ازالة هذا المانع وكان يعد اللرد خيراً ويؤجل المواعيد من وقت الى آخر ريثما تم تدبيره

وكانت قد نشأت في مدينة لندن في ذلك الزمان عصابة من قطاع الطرق فكانوا يسلبون المارة وينهبون المسافرين حتى انهم سلبوا اللرد فرغراف كل جواهره وذخائره الثمينة المتصلة به من أسلافه وذلك عند ما كان راجعاً من مصينه الى قصره في العاصمة . وكان لهذه العصابة زعيم يُعرف باسم بولس وكانت الحكومة قد بثت العيون والارصاد في كل مكان للقبض عليه وعلى أصحابه فلم تقاح

واتفق يوماً ان هؤلاء القطاع سطوا على عربة البريد فسلموا منها مبلغاً وافراً من القراطيس المالية وفيما هم عائدون اذا بمجاعة من الجنود قد أحاطت بهم فوقعت بين الفريقين مناوشة عنيفة انجلت اخيراً عن أسر زعيمهم بولس فيما كان يسعى في خلاص احد رفاقه

فسار الجند بالزعيم الى العاصمة وأدعوه السجن ولما كملت اوراق التحقيق دُعي للمحاكمة فثبتت جرائمه الكثيرة وأنه قتل في سطواته بعض المسافرين فحكم الاعضاء عليه بالاعدام ووقف رئيس القضاء الذي هو وليم وهو مرتد الالبسة الرسمية كما هي العادة ليقراً صورة الحكم واذا بضجة على الباب ورجل يحارل الدخول والخفراء يمنعونهُ فوقع نظر وليم عليه وللحال عرف انه احد الرجال الذين أرسلهم للبحث عن ولده فأمرهم بادخاله فدخل وسلم وناولهُ رقعة مكتوباً فيها «احذر مما انت فاعل يا مولاي فان بولس الذي تحاكمهُ الآن هو ابنك ادورد»

وما كاد وليم يتم قراءة هذه الكلمات حتى ظهرت عليه علامات الاضطراب وصبغ الاصفار وجبههُ وقد وجد نفسه بين عاملين شديدين اما الحكم على ولده واما نقض شريعة البلاد . فارتجف وتماطل وحاول الكلام مراراً فلم يستطع ورأى الاعضاء والحضور اضطرابهُ فأخذهم العجب من أمره ولم يدروا ما عرض له . وبعد ان استمر على ذلك بضع دقائق وهو يحارب نفسه فضل حياة الشريعة على حياة ولده ففتح شفتيه وقرأ هكذا « قد ثبتت يا بولس ذنوبك وظهرت حقيقة جرائمك ظهور الشمس ولم نجد لك عذراً ولا مجالاً للعفو فحكمت عليك المحكمة بالاعدام وفي

صباح غدٍ تُساق الى المشنقة فايرحمك الله »

ثم سقط وليم على كرسيه لان رجليه عجزتا عن حمله . ولحال فُضت الجلسة وخرج وليم الى غرفة اخرى ليبدل ثيابه فوردته رسالة برقية من اللرد فرغراف يقول فيها انه مع عدد وافر من النبلاء ينتظرون قدومه ليبشروه ويهنئوه بصدور الارادة الملكية بتعيينه مستشاراً قضائياً للملك . فركب عربة مقللة وسار نحو بيت اللرد وكان اللرد يجالس امام النافذة ينتظر مجي . وليم واذا بالعربة قد وقفت امام الباب فنزل مسرعاً لاستقبال صديقه فلم يخرج احدٌ منها فتقدم وفتح الباب واذا بوليم ملقياً ميثاقاً في يده ورقة مجمدة قد اُطبق كفه عليها فأخذها وقراها واذا هي ورقة الشرطي القايلة ان بولس هو ابن وليم المفقود

فلما وقف اللرد فرغراف على هذا السرّ ورأى ما كان من عمل وليم هزته الاريجية وكرم المنصر فأراد ان يكافئه في ممانته بما لم يستطع ان ينيله اياه في حياته فأسرع للحال الى حضرة الملك واستمدد العفو عن بولس الذي هو ادورد بن وليم واتخذهُ بمنزلة ابن له ثم لما تحقق حب كل من ادورد ولوسيا للأخر تنازل عن طلب لوسيا لنفسه واحتفل بزفافها الى ادورد وعاش ادورد بعد ذلك في ثروة أبيه محفوفاً برعاية اللرد وارشاده ولم يبطل حتى محاً عن نفسه وسم ما اشهر به من السيئات وسلك في طريقة أسرته الى آخر ايامه .